Research in Contemporary Literature
Islamic Azad University in Jiroft
http://cls.iranjournals.ir/

Volume 14, Issue 54
August 2022
pp. 67-84

Research Article

Patriotism and Women in the Palestinian Struggle in the Poetry of Abu Salma

Shahreyar Hemmati[1], Behnam Bagheri[2*], Hadi Jahed[3]

Abstract

Abd al-Karim al-Karami, nicknamed Abi Salmi, is a wonderful Palestinian poet in contemporary Arabic literature, who loves the beauty of women and sings according to the distinctive descriptions and his beautiful aesthetic views. The combination of love in poetry is a general combination between al-Hijr and al-Wasal and between reality and fantasy. In this study; Let's follow the aesthetic aspects of women and stop the position of descriptions in the whole speech of the letters that indicate femininity with a full and honest emotion, and treat the interplay between love and patriotism in poetic speech. All of these descriptions are combined in the romantic frame and he sings with dreams, knowing that he lived in Palestine and was influenced by the events of the Nakba and after the Palestinian Nakba, the poem takes new dimensions and combines the love of women with the love of the country in the field of struggle, so the poem contains a mixture of passion and the Palestinian national struggle. The woman becomes the friend of the fight and struggle. I explained during the study that the poet combines the love of the beloved and the country in the same unit, and makes the woman equivalent to the country. Abi Salmi's conception of women is profoundly evocative and effective, including the embodiment of the twofold relationship between her and the country, so the relationship is like the states of love, through which the self is united with the country.

Keywords: Abd Al-Karim, Country, Love, Women, Palestine

1. Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, Razi University, Kermanshah, Iran
2. PhD Student, Department of Arabic Language and Literature, Razi University, Kermanshah, Iran
3. PhD Student, Islamic Azad University, Science and Investigation Branch, Tehran, Iran

Correspondence Author: Behnam Bagheri **Email:** bbagheri75@yahoo.com

DOI: 10.30495/CLS.2022.1799009.1145

Receive Date: 18.04.2016 **Accept Date:** 26.09.2022

دراسات الادب المعاصر
دانشگاه آزاد اسلامی واحد جیرفت
/http://cls.iranjournals.ir

دوره ١٤، شماره ٥٤
تابستان ١٤٠١
صص: ٨٤-٦٧

مقاله پژوهشی

میهن پرستی و زن در مبارزات فلسطینی در شعر ابوسلمه

شهریار همتی[1]، بهنام باقری[2]*، هادی جاهد[3]

چکیده

عبدالکریم الکرمی، ملقب به ابوسلمه، شاعر برجسته فلسطینی در ادبیات معاصر عرب است. عشق در شعر او کاملاً میان مهجوریت و پیوند و بین واقعیت و خیال آمیخته است. در این مطالعه؛ ما جنبه‌های زیبایی‌شناختی زن را دنبال می‌کنیم و جایگاه توصیف‌های او را در هر یک از حروف دلالت بر زنانگی با عاطفه‌ای سرشار از صمیمیت می‌گیریم و تعامل پاسخگوی عشق و میهن‌پرستی را در گفتار شعری او می‌بینیم. همه این اوصاف در چهارچوب عاشقانه ادغام می شود در حالی که او در حال سرگردانی در رویاها و معاشقه است، اما او در فلسطین زندگی می کرد و تحت تأثیر حوادث نکبت و بعد از نکبت فلسطینی قرار گرفت. و مبارزه با بررسی مشخص شد که شاعر عشق معشوق و وطن را همزمان در خود می آمیزد و زن را از نظر عینی معادل وطن می سازد. به گفته ابوسلمه، زن ژرفای وحیانی تأثیرگذاری به خود گرفت، از جمله تجسم رابطه دو جانبه بین او و وطن، بنابراین به نظر می رسد این رابطه نوعی عشق است که طی آن خود با وطن یکی می شود.

واژگان کلیدی: عبدالکریم الکرمی، وطن، عشق، زن، فلسطین

١. دانشیار، گروه زبان و ادبیات عرب، دانشگاه رازی، کرمانشاه، ایران
٢. دانشجوی دکتری، گروه زبان و ادبیات عرب، دانشگاه رازی، کرمانشاه، ایران
٣. دانشجوی دکتری، دانشگاه آزاد اسلامی، واحد علوم و تحقیقات، تهران، ایران
نویسنده مسئول: بهنام باقری ایمیل: bbagheri75@yahoo.com
DOI: 10.30495/CLS.2022.1799009.1145

تاریخ دریافت: ١٣٩٥/٠١/٣٠ **تاریخ پذیرش:** ١٤٠١/٠٧/٠٤

دراسات الأدب المعاصر
جامعة آزاد الإسلامية فى جيرفت
/http://cls.iranjournals.ir

السنة الرابعة عشرة ، العدد الأربعة و الخمسون
صيف ١٤٤٣
صص: ٨٤-٦٧

ورقه ابحاث

إندماج حب الوطن والمرأة في الكفاح الفلسطيني في شعر أبي سلمى

شهريار همتى[١]، بهنام باقرى[٢*]، هادى جاهد[٣]

المخلص

عبد الكريم الكرمي الملقب بأبي سلمى شاعر فلسطيني رائع في الأدب العربي المعاصر، وهو يعشق جمال المرأة ويتغنى بوصفه حسب الوصفات المميزة ونظرته الجمالية المتّسمة. يمتزج الحب في شعره امتزاجاً كلياً بين الهجر والوصال وبين الواقع والخيال. في هذه الدراسة؛ نتابع النواحي الجمالية في المرأة ونقف موقف توصيفاته في كل حرف من الحروف الدالة على الأنوثة بعاطفة مشبعة صادقة، ونعالج التداخل المتجاوب بين الحب والوطنية في خطابه الشعري. كل تلك الأوصاف يندمج ضمن الإطار الرومانتيكي وهو هائم مع الأحلام يتغزل، بيد أنه كان يعيش في فلسطين وتأثّر من حوادث النكبة وبعد النكبة الفلسطينيّة، تأخذ أشعاره أبعاداً جديدة ويمتزج حبه للمرأة بحب الوطن في مجال النضال، فنجد في شعره مزيجاً من العاطفة والكفاح الوطني الفلسطيني ولهذا تصبح المرأة في رويته رفيقة كفاح ونضال. وقد تبين من خلال الدراسة أنّ الشاعر يمزج في نفسه عشق الحبيبة والوطن في آن واحد، ويجعل المرأة معادلاً موضوعياً للوطن. فأخذت المرأة عند أبي سلمى، عمقاً إيحائياً مؤثراً بما تتضمن تجسيد العلاقة الثنائية بينها وبين الوطن، فتبدو العلاقة نوعاً من حالات العشق تتوحد خلالها الذات بالوطن.

الكلمات الدليليه: عبد الكريم الكرمي، الوطن، الحب، المرأة، الفلسطين

١. أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة رازى، كرمانشاه، ايران
٢. طالب الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة رازي، كرمانشاه، ايران
٣. طالب الدكتوراه، جامعة آزاد الاسلامية، فرع علوم و تحقيقات، طهران، ايران

المؤلف المختص: بهنام باقرى
البريد الالكتروني: bbagheri75@yahoo.com

DOI; 10.30495/CLS.2022.1799009.1145

تاريخ الوصول: ١٤٣٧/٠٧/١٠
تاريخ القبول: ١٤٤٤/٠٢/٢٩

١. المقدمة

لقد مرّت على المناهج الأدبيّة عبر تطوراتها المتعدّدة في الأدوار المختلفة تذوّقاً خاصاً نجدها في العبارات والنظريات المتباينة حول الأشعار واطارها النفسي والاجتماعي والثقافي في الآداب المختلفة خاصّة في الأدب العربي؛ «أنّ الروية الشعرية ينبغي أن تكون واضحة ومحددة أمامنا منذ البداية حتى نستطيع النفاذ إلى الفكرة أو الشعور الماثل فيها، غير أن الروية الشعرية لا تقف عند حدود الروية البصريّة، إنّما هي قد تفتتها وتتجاوز عن بعض عناصرها التي تودّى دوراً حيوياً» (إسماعيل، لا تا: ٩٦-٩٥). من الحقائق التي نقررها بشأن الصورة الشعرية في الأدب الفلسطيني أن شاعر النضال كثيراً ما يفتت الأشياء الواقعة في المكان لكي يجدها لكل تماسكها البنائي ولا يبقى منها إلا على صفاتها أو بعض صفاتها، سواء الأصلية فيها والمضافة إليها.«فليس المهم دائماً أن تكون الصورة المكانية مكتملة التكوين أمام العين المبصرة، أي موافقة لمنطق المكان التنسيق المكاني للأشياء»(نفس المصدر:٩٥). وكان أبوسلمى من الشعراء الذين ضرب لهم المثل في الثورة والتضحية دون أي قسوة أو غلظة وهو لطيف ودود مع الأصدقاء. تظهر في شعره نغم جديدة طوال الرحلات المتتابعة وهو محافظ للقديم مع الروح المعاصرة في حين أن المرأة في شعره محور يتّكىء عليها للأهداف الثورية في شعره الوطني العاطفي بين المجتمعات المختلفة في العالم «على أنها موسسة ذكورية، وهى إحدى قلاع الرجل الحصينة. وهذا يعني حرمان المرأة ومنعها من دخول هذه الموسسة الخاصة بالرجل، مما جعل المرأة في موضع هامشي»(الغذّامي، ٢٠٠٦م:١١١). أصبحت علاقة الشاعر بالمرأة والنضال علاقة طبع متقدّمة على تاريخه، علاقة انتماء الذات في خلق الموضوع؛ أو علاقة فرز المشاعر بالضرورة، وكتابة الأفكار خلال الأحاسيس، وترجمة الوجدان والضمير في الشعر. «فتتجسّد هذه كلها بتفاعل جمالي يعبّر بها الإنسان عن طريق الفكرة التي تلمع كأول حركة في عملية الإبداع...حتى تشكل عبارة أو جملاً تفسر القصد وإذا بها كلها تتحول إلى أسلوب في حقلها الفني» (البقاعي، ١٩٨٥م: ١٨). هو شاعر الحب والجمال؛ «لقد كان للحب النسوى من هذه الغرائز القوية العنيفة المتوثبة أوفى نصيب لأنّه لم يكن للعذبى من سلوة في حياته القاسية الدامية إلا المرأة فهي التي كانت تروى ظمأه، وتأسو جراحه، وتقوى نفسه، وتشد عضده حين تلفحه الحرب وتغشاه السيوف»(عبد الفتاح، ١٩٩٤م:١٣٧). والشاعر يعتقد حينذاك أن المرأة مدار حياته و موته، بها يحيا ومن أجلها يموت و«عاد أبوسلمى إلى فلسطين سنة ١٩٢٧م بعد نيله شهادة البكالوريا السورية، حاملاً معه نفحه من عبق ذكرياته في دمشق، وشعلة متوهجة بلهيب الثورة والنار، وتتأجج في صدره حباً للأرض، ودفاعاً عن ترابها،..وفي القدس، بدأت مرحلة كفاح جديدة من حياته»(بيلتو، ١٩٨٧م، ٣٣). كانت مشاركة المرأة الفلسطينية استجابة لساحات الجهاد والكفاح والدور الرائد الذي تلعبه في الإنتفاضة؛ «بالفعل، ما أن انطلقت شرارة انتفاضة الأقصى المباركة، حتى هب الشعب الفلسطيني بكافة شرائحه المجتمعية، وأحزابه

السياسية، يدافعون عن فلسطين ومقدساتها، حيث بذلوا في سبيل ذلك أغلى ما يملكون ومن الشرائح المهمة التي شاركت في انتفاضة الأقصى، نساء فلسطين اللواتي فاجأن العالم بنماذج لم يسمع بمثلها عبر التاريخ الطويل، فقد أدهشن الجميع بما قدمن من تضحيات، بل إبداعات، حيث نافسن الرجال وزاحمنهم في كافة ميادين الحياة: الجهادية والنضالية ، وانتقلن من الأقوال إلى الأفعال»(الغلبان، ٢٠٠٩م:١٠٧). إنّ المزج بين المرأة والوطن في شعر " أبي سلمى" ظاهرة ملفت للنظر، حيث لا نستطيع أن نفرق بين المرأة والوطن و يصبح الحديث عن المرأة هو الحديث عن الوطن وآماله. والفلسطين التي هي جزء من فؤاده ومعاناته وجراحه، أصبحت مأساته الدائمة وعلى هذا، يصير كل مظهر من مظاهر الوطن عالقاً بفكره وشكلت علاقة الشاعر بالمرأة والوطن جوهر أشعاره من حيث مضامينها، فقد التصق بهما إلى حدّ الانصهار التام، وانعكس ذلك في شعره بشكل مباشر.

يهدف هذا البحث إلى دراسة امتزاج المرأة والوطن في ديوان أبي سلمى والوصول إلى أنّ حبّ الشاعر إلى المرأة يتجلّى في حبّ الوطن الفلسطيني، وهو يفكّر حالماً، لكن هذا الحلم في وعي متكامل عمّا يتكلّم عنه حول الأحداث الضميريّة والحوادث الواقعة في المجتمع الفلسطيني. كما يهدف استجلاء موقف الشاعر أبوسلمى في النظر حول المرأة الرومنسية ودورها في الأحداث المقاومة الفلسطينية، ومصاحبة المرأة والرجل في الكفاح ضد الإستعمار الصهيونى، قد جعلت اللغة مشحونة بالعواطف المقيدة بالعقل، وهنا تكمن أهمية الدراسة وجدوى تسليط الضوء على هذه التجربة الشعرية. لقد اعتمدنا في البحث، على المنهج الوصفي التحليلي الذي يعني بدراسة إندماج حب الوطن والمرأة في الكفاح الفلسطيني في شعر أبي سلمى، للوقوف على أبعاده وتجلياته في الخطاب الشعري في تحقيق أهدافه. ويتكون هذا البحث من مقدمة في علاقة الشاعر بالمرأة والنضال ومشاركة المرأة الفلسطينية لساحات الجهاد والكفاح، ثم تحدثنا عن حياة وشعر أبي سلمى، ثمّ تناولنا بالتحليل اندماج حبّ الوطن والمرأة في شعر الشاعر، ثم جاءت النتيجة التي عُرض فيها أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة. والأسئلة التي تطرح في هذه المقالة، هي:

١- كيف تجلت حبّ الوطن والمرأة في شعر أبي سلمى ؟

٢- هل استطاع الشاعر أن يمزج بين المرأة والوطن في إثراء المشهد الفلسطيني في سياق المقاومة الوطنية ؟

أما المفروضات المقترحة التي نحاول أن نثبتها أثناء دراستنا هي:

١-للمرأة دور حاسم في المضامين الشعرية بل نشاهد هذه الظاهرة طوية في كلام الشاعر المزيج بالعواطف الأنثوية والثورية تجاه مكافحة الإستعمار.

۲- المحبة الأنثوية وحب الوطن ظاهرتان قد جعلت اللغة الشعرية لدى الشاعر مشحونة بالعواطف المقيّدة في إطار العقيدة والإيمان.

۲. الدراسات السابقة

ثمة دراسات أنجزت حول أدب أبي سلمى نخص منها بالذكر؛ القضية الفلسطينية في أدب عبد الكريم الكرمي، لمجتبى رحماندوست ومختار مجاهد، اللغة العربية وآدابها، ربيع ۱۴۳۴ه.ق. قد أكّد المقال أنّ شعر عبدالكريم الكرمي صوت الشعب الفلسطيني تجاه الأستعمار والصهيونية وقد وصل الشاعر إلى أهدافه الثورية بالوصف أم بتخليد الشعراء أم بتصوير لواعج الحنين في نفسه ضد القيد والإنكسارات واحتلال الأرض. ومقالة «نگاه نمادين به زن در شعر معاصر فلسطين»، عزت ملا ابراهيمى، زينب نريمانى، نازى قنبرى، مجله: زن در فرهنگ و هنر(پژوهش زنان)، ۱۳۹۰. والكاتبون في هذه المقالة ينظرون إلى فدوى طوقان وأبو سلمى ويعتقدون بأن الشعر لديهما أنموذج للأهداف، ويعتقد الكتاب أن شعر أبي سلمى فيزيكى وهو يخاطب المرأة دون أن يلتجأ إلى الرمز، ولكن فدوى طوقان تخاطب وتتكلم رمزياً في شعرها. كذلك كتاب «درآمدى بر شعر ابو سلمى»، للعزت ملا إبراهيمي الذي تناول فيه حياة الشاعر السياسية والإجتماعية ومضامينه الشعرية، وخصائصه الفنية والأدبية، كما تطرّق إلى دراسة عنصر الخيال، وأوزانه الشعرية وصوره البلاغية. كذلك رسالة الماجستير تحت عنوان "أبو سلمى الأديب الإنسان"، لمصطفى محمد الفار بجامعة القديس يوسف، التي درس فيها الجانب الإنساني والإجتماعي في شعره، والخصائص الفنية، وأبو سلمى ناقداً أدبياً وإجتماعياً. على الرغم من تنوع هذه الدراسات إلا أن هذه الدراسة، قُدمت في شكل مختلف عن غيرها من الدراسات في المجال نفسه، وهو أمر مردود إلى طبيعة المادة التي قامت عليها. فجاءت لتسلط الضوء على اندمجاج الأفكار الثورية والعواطف الأنثوية للوصول إلى المستوى الإسلامي الرفيع في شعر ابي سلمى.

۳. أبوسلمى و شعره

هو عبد الكريم الكرمي الملقب بأبي سلمى، ولد سنة ۱۹۰۷م، في فلسطين من بلدة طولكرم.«الكرمي نسبة إلى طولكرم، البلدة التي يعود تاريخها إلى القرن الثالث الميلادي»(بيلتو، ۱۹۸۷م، ۱۹). أنه نشأ مع النكبة وعاشها بكل وجوده، وذاق طعم الغربة والتشرد. له خمسة دواوين شعرية تحت عنوان: ا- ديوان المشرد ۱۹۳۵م، ۲- ديوان أغنيات بلادي ۱۹۵۹م، ۳- ديوان أغاني الأطفال ۱۹٦٤م، ٤- ديوان من فلسطين ريشتي ۱۹۷۱م، ٥- ديوان أبي سلمى ۱۹۷۸م. كما كان له بعض الأعمال النثرية، فمنها: كفاح العرب الفلسطين، و أحمد الشاكر الكرمي

سيرته العلمية والسياسية، والشيخ سعيد الكرمي سيرته العلمية والسياسية. فقد كرّس الشاعر أبو سلمى في دواوينه كلّ ما يمكن قوله في وطنه الفلسطين المملوء بالمآسي والمفارقات، ويضمنه تساؤلاته الوطنية ومشاعره المتلبسة بالحزن والأسى التي تتفاوت بين اليأس والأمل بشأن هذا الوطن الذي يشعر بالغربة عنه في جميع أحواله. «رافق أبوسلمى كفاح الشعب الفلسطيني طوال نصف قرن من الزمن وسجل ملحمة هذا الكفاح في شعره الوطني الملتهب» (نفس المصدر: ١٤٩). يُعدُّ الكرمي بتجربته الشعرية الخصيبة، حلقة مهمة في تاريخ الشعر العربي في الفلسطين في العصر الحديث. «إنّ الشيخ سعيد الكرمي وأبناءه يؤلفون رهطاً له وزنةً في حركة الإذهان في فلسطين ولا نكاد نعلم أن بيتاً آخر في هذه البلاد قام فيه الأب وتبعه على دروبه أبناءه في حياته ومن بعده كما قام هذا المشعل» (نويهض، ١٩٨١: ٩٨). توحي مضامين دواوينه عن عمق هيامه وحنينه بالوطن. وشكل علاقة الشاعر بالوطن جوهر دواوينه من حيث مضامينها، فقد التصق بالوطن إلى حدّ الانصهار التام، وانعكس ذلك في شعره بشكل مباشر. «كان شعر عبدالكريم الكرمي صوت شعبه ولسان أمته، وكان له دور فاعل في مقاومة الاستعمار والصهيونية منذ نكبة بلاده بالانتداب البريطاني، فكان سلاحاً فتاكاً من أسلحة المقاومة ضد سياسة التهويد والقمع. وعاش أبو سلمى مرحلة ما قبل النكبة وأسهم بالكلمة المقاتلة في الكفاح الدائب ضدالعدو، كما عاش مرحلة ما بعد النكبة كمثقف سوري ملتزم بتطلعات الجماهير، فقد ظل يحمل وطنه فلسطين في كل جارحة من شعره سواء أكان عن طريق التبشير بالثورة أم بالوصف أم بتخليد الشهداء، أم بتصوير لواعج الحنين في نفسه إلى حبيبته ووطنه أم بشعره الناقم الساخط ضد القيد وضد محن الانكسارات واحتلال الأرض والوطن» (رحماندوست، ١٣٩٢: ٨٣). والشاعر يحاول في إنبعاث أن يتجه نحو الوعي في عواطف الشعب الفلسطيني، وظهرت عاطفة الشاعر جياشة في محاولته مواساة مآسي و جراح الشعب الفلسطيني. وهذا الموضوع قد أرغمته على استعمال اللغة المشحون بالعواطف الأنثوية والحوار بين المرأة والثورة للوصول إلى أهدافه. وقد عني أبى سلمى في شعره بتصوير المجتمع الفلسطيني ومآسيه بكل أبعاده وتوجهاته، وقد ملكت الفسطين ومدنها مشاعره وأحاسيسه ووجدانه، وخصص شعره لتصوير العلاقة القائمة بينه وبين الوطن الجريح. «ففلسطين في شعر أبى سلمى، ليست بقعة جغرافية فحسب، بل هي أيضاً حلم الثائرين كلهم لأن حالات الاحتلال والظلم والغزو القائمة في فلسطين يجب أن تكون بؤرة اهتمام كل الثوار. ففلسطين على الرغم من صغر مساحتها محملة بتراث من النضال عبر سنوات مريرة طويلة» (الفار، ١٩٨٠: ٣٦). ففلسطين، لم تغب عن باله وهمومه بل تغلغل في وجوده وملكت عليه احساساته ومشاعره. «إنّ مجموع أشعاره تشكل الحس المقاوم تاريخياض داخل الأرض الضائعة قبل أن تضيع وفي المنفى حيث كان أبوسلمى أول من جرؤوا على كشف وتعرية ملابسات القضية، إن أبا سلمى يجسد الشاعر في التحامه النضالي بقضية شعبه، حيث يصبح الشعر وسيلة من وسائل النضال وتحتفي الفوارق بين

وظيفة الشاعر في مجتمعه وبينه كخالق ومبدع نصوص» (صالح، ١٩٩٩: ١٠). هكذا جعل أبوسلمى فلسطين حبه الأعمق والأكبر وهي كلّ شيء في حياته وصور مأساته بلوحات شعرية جميلة.

٤. صورة المرأة في الشعر الفلسطيني

للمرأة دور واضح في تاريخ الحضارة الإسلامية والعربية، فقد كان لها دورها البارز في ميادين مختلفة ومن ذلك ميادين الأدب، الاجتماع، الجهاد والفداء. «الحديث عن قضايا المرأة له شجون وامتداد يكاد لا ينحصر تحت عنوان واحد؛ لأنها تتجسد في أثواب كثيرة، فتارة هي أم، وأخرى زوجة، وثالثة محبوبة، ورابعة أخت، وخامسة بنت، مما يجعلنا نشعر بصعوبة حصر ما يتعلق بها في كل هذه المجالات» (صيام، ٢٠٠٦: ٧٣). وللمرأة اليوم دور فاعل في المجالات الأبية، واكتسبت المرأة عند الشعراء عمقاً إيحائياً مهماً، ولعبت دوراً رئيسية في الهام الشعراء، وابرازها في شعرهم بشتى الصور. «لم تغب المرأة عن أي نص، سواء أكان نصًا مقدسًا أو شعريًا أو غير ذلك من أنواع النصوص المختلفة، ولعل هذا الحضور الكثيف في مختلف أنواع هذه النصوص، يعود إلى ما وقر في الوعي الإنساني من تأثيرها في كل مراحل التاريخ الإنساني.» (حسون، ٢٠٠٦: ٣). لقد أصبحت المرأة رمزاً للوطن في الشعر الحديث، كما يرى "محمد ناصر" في هذا الصدد: «لما استخدم هذا الرمز في القصيدة التقليدية ضمير المؤنث في مخاطبة الوطن بطريقة مباشرة، أما في القصيدة المعاصرة، فقد ابتعد هذا الرمز عن التقرير، وأصبح الشعراء يصفون الوطن بكل الصفات التي لا يمكن أن تمتلكها أو تتصف بها سوى المرأة» (ناصر، ١٩٨٥: ٥٥٩). في هذا النوع من الشعر يعبر الشاعر عن انفعالاته ومشاعره وخواطره ومن خلاله يؤكد تشبثه وحنينه بالوطن وينصهر فيهما انصهاراً تاماً، والمرأة تصير جسراً للعبور والحنين إلى الوطن. «ففي هذا المدار لا نستطيع أن نفرق بين المحبوبة والوطن، فالحديث يتجه - ظاهرياً - نحو المرأة، ولكن ما أن نتعمق الدلالة ونصل بين مكونات الصياغة، حتى نرى حب الوطن والمحبوبة "المرأة" هي الوطن" يتوحد الطرفان " الحب والوطن" في واحد، ويصبح الحديث عن المحبوبة هو الحديث عن الوطن، بل إن التوحد يتخذ سمة الحديث المباشر إلى امرأة حين يخاطب الشاعر وطنه» (عيد، ١٩٨٥: ١٦٥). إذا تصفحنا صورة المرأة في الشعر الفلسطيني لا نجدها تقتصر على صورة المرأة الجسد، بل هي محور الأساس في علاقة الشاعر إلى الوطن. توجد المرأة واقعاً أو حلماً في حياة كل رجل، وليس أبوسلمى وحده، بل إنه غالباً ما يستلهمها القوة والكينونة في كليهما وبكليهما معاً. «المرأة التي يخاطبها أبوسلمى في أشعاره تبقى مخلوقاً مجرداً لا اسم له، وشخصية يحنّ إليها بعيداً عن أي تجربة مجسدة وترتبط بالشاعر في المصير المشترك وهوالنفي» (الجيوسي، ١٩٩٢: ١٨». لقد ربط أبوسلمى بين المرأة والوطن، من خلال مقدرته الشعرية، إن المزج بين المرأة والوطن في شعر أبي سلمى يمد تجربته

الفنية بنفس عاطفي جميل، حيث تتحول قصيدته إلى قصيدة حبّ، يتميز فيه الحب بالوطنية، بحيث يصعب على القارىء أن يفرق بين عاطفة الحب نحو المرأة وبين عاطفة الحب والحنين نحو الوطن. وسنحاول بيان ذلك في شعر أبي سلمى في هذه الدراسة.

٤,١. اندماج الوطن والمرأةفي الخطاب الشعري لأبي سلمى

لقد أخذ الحديث عن الوطن في شعر أبي سلمى أبعاد مختلفة بحسب زوايا الرؤية التي عالجها الشاعر من جهة وبحسب الفهم الذى أنيط به من جهة اخرى.كل مقاربة للوطن انما قدّمت الصفات المتشابكة لنا؛ مما يجعلنا في موضع معقّد على مستوى المعنى والمبنى. ذلک أن الوطن في صلة في الحدود الجغرافيّة والإجتماعيّة والنفسية معاً، إنّ هذه العلاقات بين الشعر والمجتمع من جهة وبين أحاسيسه وأفكار الشاعر من جهة اخرى واضح تماماً في ديوان الشاعر ويندمج الحب والوطن في كلامه. والدراسات الواقعية والرومنتيكيّة «قد رأت في المكان شيئاً يتحدد وجوده في إطار الواقع، بعين المواصفات الخارجيّة التي تمتلكها الأشياء»(مونسي، ٢٠٠١م: ١٢٩). تأتي تجربة عشق الحبيبة الوطن في مقدمة طيوف المشهد الشعري في ديوان أبي سلمى، تلك التجربة التي يتماهى فيها الوطن مع الحبيبة حتى تصير في مخيلة الشاعر شيئاً واحداً. من ذلك قوله:

عـصـابة قد نسجتـها المنى عـطّرها وزانـها المـفـرق

والشعر الأسـود، من طيبه سال على الليل الشذا يعبق

مـن لفـتـة، جـنـت زهـور الربي وظلل، وهو حالم، يخفـق

أمـن سـمـاء الحـب أم مـوطـني بـالـلـه قـولـي ثوبـک الأزرق

(أبوسلمى، ١٩٧٨: ١٦٥).

يتكلم الشاعر في التصوير الذاتي وينادي بالحرية كما ينظر إلى السماء في لونها الأزرق ويشبهها بالمرأة التي قد ارتدى ثوباً ازرق. هذا الحب قد اندفقت من وجدان الشاعر وقد انطلقت على لسانه في سياق الكلمات الرومانسية. لكنه لم يكن منفصلا عن الوطن الذي ترعرع فيه، ونرى الشاعر يختم المقطع بحديث عن الوطن، لأنه عشق أبي سلمى الأول الذي تشربه في طفولته قبل أن يعرف أي عشق آخر. إن الحديث عن الحبيبة بهذا الشكل هو حنين إلى الوطن، وما ذلک إلا لحنينه وتشوقه المحرق إليه، هذه العلاقة بين الوطن والحبيبة تدل على عمق تجربة الشاعر النفسية المستعذبة تجاه الوطن أو الحبيبة، أو تجاه الوطن والحبيبة في آنٍ، كلتا الحبيبتين في لحظة الشاعر الآنية تلتقيان في أنهما أبعد من أن تنالا، أو أن تقعا في دائرة الرؤية البصرية. كذلك قوله:

من يحيى عنا التراب الخصيبا ويناجى بعد الفراق الحبيبا
يا فلسطين كيف أهتف والقلب ينادى ولا يلاقى مجيبا

(أبو سلمى، ١٩٨٧: ١٥٨).

الشعر الإبداعي لا يمكن أن نشتمله على المقاربات فحسب بل يجب أن يكون في جوهره صحوة روحية تفرض هيمنتها أكثر مما يمكن أن نستنبطها من الفضاء الشعري، إذن إنجاز شعر يشتمل على خطاب رائع يجب للشاعر أن ينتاب الذات في حالة من الفوران لكي تصبح الكينونة في مثل هذه اللحظات، وقد تكون هذه اللحظات قد بلغت أرقى درجات ذراها. ولهذا يخاطب الشاعر الفلسطين ويهتف مع قلبه وينادي، لكن لا يجد إنساناً لإجابة هذا السوال، والشاعر ينتمي عند علاقة شعره بالحياة، و إنّما يمتد الشاعر هذا الإحساس لكي تشمل علاقة هذا الشعر بفلسطين وعلاقته بألوان التعبير الأدبيّة ونحن نفهم من خلال الكلمات، علاقة الشاعر بالتراث القيّم الذى ينتمى إليه، «فالقصيدة في نهاية المطاف هي عمل أدبي ينتمي إلى جنس أدبي معيّن لها تقاليد بعضها قابل للتطوير والتغيير وبعضها الآخر أكثر ميلاً للثبات، ولا شک أن جزءا هاما من توفيق الشاعر يعود إلى نفاذ نظرته إلى الفروق الدقيقة بين الثوابت والمتغيرات في الجنس الذي يبدع فيه»(درويش١٩٩٦م: ١١٠-١١١). أن في هذه الأبيات تعبيراً صادقاً عن مشاعر الحب والوفاء للحبيبة، ولغة الحب ومفرداته تظل على لغة الشاعر، أما بنية الأبيات العميقة، فإنها أبعد بكثير من المعنى السطحي الظاهر. لأن الحب الحقيقي عند شاعرنا المجروح، لا يقتصر إلا على الوطن الجريح. وهذه العلاقة القائمة بين الشاعر ووطنه سبباً مباشراً في إضفاء الشعور بالمرارة وقد تجلى ذلك بشكل واضح في شعره:

كلّما لاح من فلسطين برقٌ خفق القلب في القصيد وذابا
قسما بالسفوح إنّا حملنا يا فلسطين في هواک العذابا
ما بعدنا عن طيب أرضک إلا زادنا البعد من ثراک اقترابا

(أبوسلمى، ١٩٨٧: ٢٣٤).

قد يكون الشاعر أفصح عن موقفه من اللغة الشعريّة، ولعلّه قصد بذلک ما يسمّى بخلق جديد حتّى في هذه الحالة قد غاب عنه التعتيم والإبهام عجزاً عن قول الحقيقة، لهذا يتكلّم الشاعر عن الوطن الفلسطيني و يبيّن الحقيقة دون أي مجاملة للأخرين ولا داعي للعجب لأنّ شعراء الفلسطينيين ساروا في هذا الإتّجاه، وأنّ دور الشاعر يلصقه بواقع الجمهور في شعره الغنائي المتّسم بصفة الهوى والمحبة. والشاعر يخاطب الوطن كأنّه محبوبته «والشعر الغنائي بذاته معرض حافل بما يُشعِر بحال الشاعر الذهنيّة وقت الإنتاج، وبإمتداد مشاعره وانفعالاته وعواطفه واتجاهاته. والميدان النفسي وسيلة للتعرّف على المثُل العليا من خير وحق وجمال مَنشَد الإنسانية عَبر الزمن، والحق هدفُ الفكر،

والخير هدف الإرادة والجمال هدف الوجدان.»(محمد، ١٩٨٧م: ١٣٢). ويظهر هنا بجلاء طغيان عاطفة الأسى؛ وغلبة المشاعر على الشاعر من خلال استعماله للألفاظ – خفق، قلب، ذاب، حملنا، هواك، العذاب، البعد، القرب - وهذه الألفاظ كاشفة عن عمق الجرح والألم الذي يعاني منه الشاعر إزاء ما تمر بالفلسطين، فتبدو العلاقة نوعاً من حالات العشق تتوحد خلالها الذات بالحبيبة / الوطن. وقوله:

أنا يا جارتي غريب غريب — القلب والدار والفراق مقدّر
هل أوشى الحياة بالحبّ حتى — تغفرى أم أذيب قلبي لأهجر

(أبوسلمى، ١٩٨٧: ١٦٦).

الشاعر في هذا الفضاء الرحيب، يطور خطه الشخصي باحثاً عن حالة وجدانه الداخلي، وهذه اللغة إبداعية لأنّ الشاعر اقترب اقتراباً كثيراً من الذات إلى الجماعة، وقد كان ارتباط الشاعر بقضايا الإجتماعية والسياسية ارتباطاً منبثقاً من خلال وجدانه. هنا انصهر الشاعر ذاته في تفاعلات مجتمعه دون أي خوف. إذن هو يتكلم عن الفراق والهجرة، ويبعد عن طريق الشعراء في وصف الحبيبة منجرداً عن المجتمع وقضاياه الأساسية. والشاعر ينتهز هذه المناسبة لإندماج الحب والوطنية للتكلم عن هذه المناسبة ولكي يفصح جوانبها العديدة، منها حبّ الوطن والوطنية، فينادى المحبوب والدار معاً ويسمى نفسه غريباً بعيداً عن الوطن، وتجاه هذه العاطفة يصمم أن يهجر إلى الوطن ولهذا يبعد عن تقرير مطلق، ولهذا يحدد ويعمق كلامه بالإقتراب إلى إندماج وصف الوطن و المحبوب. «هولاء الذين ساروا على طريق الإلتزام ...يومنون بأن المضمون هو الذي يبلور ويشكل المحتوى الأساسي للفن، ولابد من معرفة ودراسة الواقع الموضوعي حتى يمكن إيضاح المضمون وتعميق الفكر، وكلما ازدادت المعرفة بالعالم انعكس ذلک على خصوبة الفن وثراء العطاء الأدبي»(عيد، ١٩٨٨: ٢٩٥). تمثل هذه الأبيات حالة الهمّ، والحزن، والألم المكبوت الذي خالط قلب الشاعر، وهو همّ يريد الشاعر أن يخرج به من دائرة الإحساس إلى الشعر. وكثيراً ما يعلن أبوسلمى عن هذه العلاقة، وهي كلها ترتبط بنفس العلاقة المتداخلة بين الشاعر والوطن / الحبيبة. إنّ علاقة الشاعر بالوطن علاقة حميمة تقوم على التوحد والتقديس. وقوله:

لا تقل ما اسمها، وفي كلّ حرف — عبقٌ فاضحٌ وشوق مفسَر
وكأن الأنفاس من نسم الكرمل — ريا ومن كلّ عبير الصنوبر
فمها العذب تلتقى عنده الأحلام — كالنبع في بلادي مكوثر
صوتها نغمة شرود على الشاطىء — من بلبل هنالک أسمر

(أبوسلمى، ١٩٨٧: ١٦٥).

إن الشاعر في هذه الشريحة من الشعر الذي أراد به التعامل مع المجتمع وإحساسه، قد استخدم في بنيتها أسلوب التفكير والمناخ الثقافي. وربّما أنّ اللغة في بنيتها أبعاد إجتماعيّة وتاريخية ونفسية وبالتالي الإستخدام اللائق للغة الشعرية والعقلانية المنهجية يشير إلى الشاطىء والبلابل والبلاد التي شرد الشاعر عنها دون أن يتنفّس في فضائها، وكأنّ الشاعر يشمّ عبيرها ويسمع فيها صوت البلابل المغرّد التي تبشّر بالطلق. الشاعر هنا يتذكّر الوطن، لكن ينادى الوطن ويتجلى حبّه إلى الوطن في محبوبته التي يتكلّم معه ويتنفّس في فضائها. وكما ندرى «أن الأصل في الشعر هو المبدع قبل المتلقى، وأن القصيدة لن تحقق شيئاً للمتلقي إلا اذا حققت ما يماثله للمبدع. وعندما ننظر إلى وظيفة الصورة من زاوية المبدع ينكشف زيف النتائج التي أدى إليها التصور القديم، فالصورة ليست من قبيل «الزينة» الطارئة على المعنى الأصلي وإنما تصبح وسيلة حتمية لإدراك نوع متميز من الحقائق تعجز اللغة العادية عن إدراكه أو توصيله» (الشايب، ١٩٥٨: ٤٩). وكأنه لم ينل من دنياه سوى نظرة عابرة من حبيبة كانت هواه، فلا تدري هل هو يحن إلى ذكريات ذلك الماضي أم إنه يحن إلى محبوبته. «هو حين يخاطب حبيبته ويتغنى بجمالها وفتنة أوصافها، وما يحتمل في ذاته من لوعة ومرارة، فإنه بذلک لم يكن منفصلاً عن الوطن الذي ترعرع فيها، والأرض التي احتضنت صباه وكانت مرتع أحلامه، بل إنه في هذا وذاک كان مزيجاً ليس لک أن تستل جزءا منه دون الآخر» (الفار، ١٩٨٨: ١٢٩). وهذا يؤكد حالة الترابط الوجداني ما بين الشاعر والوطن، وما يقصده من ضرورة الحفاظ على الأرض والوطن، من خلال المشاعر الجياشة التي يحاول بثها في نفوس الشعب. كذلك قوله:

وكيف أنساک وأنت التي أحببتُ فيکِ الشعب والموطنا

(أبوسلمى، ١٩٨٧: ١٨٤).

للقيم الدلاليّة في الشعر، قوة ترتبط بالذات وتجعل تصوير الشعر وتخيّله ذات شموليّة خاصة من حيث الوحدات التي تتحرک حسب الدلالات الشاملة. وهذه الأحاسيس تجاه الشعر نجعلنا في سياق فعّال يهيمن عليه الإيجابيّة ولهذا نجد أبوسلمى متمرّساً في تجربته الشعرية والشعورية التي قد أخذها من المجتمع الراهن والنفس الذاتي ملتصقاً وغير متجزأ أيّ جزء من الأخر، ولهذا نجد في هذا البيت الهوى وخوف النسيان في الشعب والمحبوب مجتمعاً، لأنّ الشاعر يوجّه المخاطب في سياق التأنيث وكأنّه يتكلّم مع حبيبته بين شعوب المجتمع. «والصنعة الشعريّة لا تعني تكلف الشاعر وتصنعه، ومحاولته جاهداً زخرفة مادة الشعر الخام بألوان و أشكال حيثما اتفق، فالتصوير والتخيل اللذان يضيفهما الشاعر على مادة الشعر ليسا شيئاً منفصلاً عن تلک المادة نفسها» (رومية، ١٩٩٦م: ٢٠٧). إذن الغزل لدى أبي سلمى لا تنحصر دواعيه في مفاتن محبوبته، أو سرد أوصافها الحسية، بل إن دواعيه تتجاوز ذلك إلى كل ما يعشق، ومعلوم أن الوطن عشق أبي سلمى الأول الذي تشربه في

طفولته قبل أن يعرف أي عشق آخر. وكان لهذه الصورة وقعها الخاص في نفس الشاعر. ومن ذلک قوله:

ألف نجـم يضيء من خلف عينيها ومن خـلف ثغرها ألف منهل
وإذا الحرف لاح من شفتـيـها عالم السحر والفصاحة هلل
كيف لا بـعـدمـا جلتـها فلسطين ضيـاء مـن السمـاء تـنزل
وتـهـادت ما بـيـن شوق وعطر وشبـاب وبيـن مجد مـوثـل

(أبوسلمى، ١٩٨٧: ٢٩٣).

نحن غالباً في البحوث الأدبية نجتهد التبيين والتوضيح خلال تأويلات الموجودة في النص، وهذا لا يعني أنّ هدف استكشاف الشعر؛ هو الإستهداف للنص المنشود فحسب، بل علينا أن نستجلي القوانين التي تولد تلک القطعة الشعرية. ونحن في هذه القطعة الشعريّة نشاهد ظاهرة لا نقدر أن نكون محايداً أو منعزلاً عن إنعكاساتها في الضمير والوجدان، وهذه الظاهرة هي الكارثة الفلسطينية التي تجلّى في ذهن الشاعر، لكن لونها متمايز ومتميّز عمّا نعرفها من قبل. يشمّها الشاعر في رائحة الحب والشوق ويشاهد الشاعر مجد الشباب الفلسطيني وملاحتهم وسحر كلامهم متجلّياً في عيني المحبوب وثغرها. فهذه التطبيقات الملازمة في مفهوم الشعر هي تقنية اجرائية يكرس الشاعر خلالها عملية استنباط التأويلات في أذهان المخاطبين، والشاعر هنا يخضع للقوانين المستنبطة الموجودة في الوقت الذي يكون مجلياً لها. و«من هنا ننتفى النظرة السطحية إلى ضرورة عزل الشعرية عن التأويل بادعاء العلمية المحضة. إن التطبيق لا يشكل إنزلاقاً نحو هاوية الإنطباعات الذاتية مادام التطبيق مستنداً – منهجياً- إلى مقولات نقدية لا تمت بأية صلة إلى التجليات النفسية والإجتماعية»(ناظم، ١٩٩٤م، ٣٨). إن الشاعر يلقي بنفسه شعوريا مستشهداً في أتون هذه المعشوقة، مستحضراً روعتها وجمالها من الوطن. ومن الواضح في هذه الأبيات أن هذه التجربة الوجدانية أصيلة متجذرة في نفس الشاعر، وليست مجرد أصداء عابرة لتجربة موقوتة. وقوله:

سأل الفجر: أن خولة فانهلّت طيوبٌ وتمتمت: كيف تسأل؟
هي في كلّ زهـرة مـن بلادي عـبـقٌ في صميمنا يتغلغل
إنـهـا من مـروج «عكا» و «الرملـة» و «الـلـد» نـشوة تـتـنـقل

(أبوسلمى، ١٩٨٧: ٢٩٣).

ما هذه الأبيات إلا ترجيع نغمي لموقف الشاعر النفسي الذي يؤمن به، ويقيم عليه، يتساوق مع عامة موقفه الذي رأيناه، هذه الأبيات توحي للقارئ بعلاقة حب وغرام بين الشاعر والحبيبة، أما بنية

القصيدة العميقة، فإنها أبعد بكثير من المعنى السطحي الظاهر. «الشعر قبل سواه من سائر الفنون هو الأقدر على التعبير عن حياة الوجدان بجوانيته الخاصة، والشعر قبل سواه من سائر الفنون هو الأقدر على التعبير عن حياة الوجدان الداخلية بما هي روح صرف يختلج ويتماوج ، وتعوم فيه شتى لونيّات الشعور وجزئيّاته، إنه يتعامل مع رعاف الروح، مع حياة الباطن والخلجات المستسرة المنخرطة انخراطاً حميساً والحياة الكونيّة العامة والخاصة» (حمّود، ١٩٩٢: ٦٨- ٦٩). فكان الحبيبة هي الأرض، هي الوطن، فالفلسطين لم تغب عن باله وهمومه بل تتغلغل في وجوده. ، بحيث لا نستطيع أن نفصل بين الشاعر والوطن والحبيبة، وليس هناك حدود وفواصل، بل حالة من التوحد والانصهار بينهما. وقوله:

هذي فلسطين الهوى وطني جلّ الهوى العربي والنسب

(أبوسلمى، ١٩٨٧: ٢٦٦).

إنّ الشاعر قد غاص في أعماق الوجدان الداخليّة وما يستنبط من الظواهر الخارجية، ولا يصرف الشاعر عن الوجهة الإجتماعية ولا يلجأ إلى الوجهة الذاتية فحسب، بل أن الشاعر يغوص في أعماق المواضع للبحث عن الجوهر الإنساني، و لكي يبتعد نفسه والمجتمع عن كل ما هو سطحي ويبدو في نظرته مبتذلاً. فلهذا تأكيد الشاعر على حب الوطن في الشعر بصورة عامة وبصورة خاصة تأكيد على اجتماعيته في النضال الوطني لأجل المجتمع، فقد كتب أبوسلمى الشعر إبتغاء مرضاة الشعب، وإبتغاء الفواد البشرى، وابتغاء صيانة المفاهيم المتعالية عن التلوّث و اللّوث. «وهكذا يغدو الشعر كشفاً عن الجوهر الكامن في أعماق الروح البشري، عن الحب والخير والجمال والحق والحريّة» (حمّود، ١٩٩٢م، ٦٩). إن المزج بين المرأة والوطن في شعر أبي سلمى ،كأنه لازمة محورية تقرر في جلاء بينة موقف الشاعر النفسي بين الحبيبة والوطن، قد صارا ذاتاً واحدة. منغمساً مشاعر حب صادقة تصور ما يزخر به قلبه من شوق بالغ إلى تلك الحبيبة المفترضة. إلا أن هذه المشاعر لا تلبث أن تختلط بمشاعر الانتماء إلى فلسطين. كذلك قوله:

أهواك في أغنيّة حرّة يخفق فيها الناي والمزهر
في طلّة الفجر على المنحني يهفو إليه الكرم والبيدر
في الشاطيء الغربي تغفو على ألحانه الأمواج والأبحر
في عبق الورد وفي لونه يزفّه وادي الحمى الأطهر
في موكب النصر وفي راية على ذرى تاريخنا، تخطر
أهواك في شعبي وفي موطني فأنت لا أحلى ولا أنضر

(أبوسلمى، ١٩٨٧: ١٧٠- ١٧١).

لقد بدأ الشاعر قطعته الشعرية بصورة جيّدة ونجد فيها قفزات يترک الشاعر کل صورة من الصور وهذه الصور حسية وملموسة للمخاطب؛ منها «أغنية»، «الناي»، «الفجر» و«الأبحر» و «عبق الورد» و «الأمواج» و«التاريخ». ويجعلنا لكي نحس بأن الكلمات مترابطة فيما بينها ومن ثمّ يبتعد الشاعر شيئاً فشيئاً عن الوصفات الظاهرية ويصلنا إلى المفاهيم المتعالية وهى «الراية» و «موكب النصر» و «الشعب» و «الوطن» و «الشاطىء الغربي». والمقطع تعادل فيه الجمل وكل هذه الجملات مترابط كل الإرتباط. لكن ما يستلفت النظر في هذا المقطع الشعري اسلوب خطاب الشاعر وهو يخاطب المرأة خطاباً عاطفياً وكأن حبّ المرأة مقدمة لحبّ الوطن الفلسطيني «هكذا فقد رفض الشعراء المجددون أن يعيشوا بدون هدف، أو أن يعيشوا في عالم محدد، وتحولوا إلى عوالم شاسعة كانت بعيدة عنهم، وصاروا أبطالاً يصنعون بأيديهم ما يحملون به... ولذلک كان على الشاعر الحديث أن يملک من الأصالة والتمييز والفكر ما يمكنه من التمرد على أسباب هزيمة، ١٩٤٨ هذه الهزيمة التي جعلها جبراً الأساس في كل تجديد عرفناه في العالم العربي، وخصوصاً التجديد في أساليب القول والأساليب الفنيّة كلها» (حمّود، ١٩٩٢م ، ١٥١). إن إحساسه الصادق بوطنه وشعبه يجعله ينظر إلى ما هو أبعد من الرومانسية، وبين حبه لوطنه وخوفه وحزنه الدائم عليه، ينزل أنهاراً من كلمات الحنين وشلالاً من البكاء المرير. إن في هذه الأبيات تعبيراً صادقاً عن مشاعر الوفاء والولاء لتلك الحبيبة / الوطن، التي أسرته بغرامها فأصبح لا يجد السعادة إلا معها.

سيري إلى عكا نزر شاطئها فالموج لا يروي سوى أخبارنا
طوفي معي فإن كلّ ذرة من أرضنا تسألنا عن ثارنا

(أبى سلمى، ١٩٨٧: ٢٠٠).

إنّ هذا المقطع يتعادل مع باقي الأجزاء وفيها رؤية جمالية في الوطن والمرأة معاً، والسبب تداخل عناصر التأليف، وهكذا يبدأ المقطع بمجموعة من الصور المتلاحقة التي نجد فيها كثافة مرتبطة بإزدياد درجة الشعور وتنتهي هذه الكثافة أخيراً إلى مقاصد الثورة والكفاح الفلسطيني. والمرأة في هذا المقطع الشعري والشعوري رفيقة كفاحه، والشاعر يستمدّ من الأمواج الرومنطيقية أن يضع نفسية المخاطب في الوطن والوطنية. «حينما نستقرىء السيرة الثقافية والإجتماعيّة العربية نستطيع أن نتبيّن الأسباب الكامنة وراء شوء حجاب كثيف ما بين الشعر بوصفه فنّاً في القول والإبداع وبين الأنوثة بوصفها قيمة مقموعة. ولقد جرى تمييز صارم يميز التأنيث من حيث هو موضوع شعرى، والتأنيث من حيث هو سمة في الخطاب الشعرى. وللشعراء حق منحته لهم الثقافة وتنتظره منهم في أن يخوضوا بالحديث عن المرأة والناقة بل في وصف القصيدة نفسها بصفات الأنوثة كأن توصف القوافي بالعذراء وكأن يشير الشاعر إلى تفوقه في افتضاض الكلمات. وهذا حق شعري يتباهى به الشعراء ويتبارون فيه. تلك هي

الأنوثة كموضوع شعري» (الغذامی، ٢٠٠٥م: ٧٥). إنّ الشاعر في هذا التجلي العاطفي ينادي حبيبته، إلا أنه يختتمه بالأرض والوطن، ويعود إلى هواه الأول والدائم؛ الوطن. في الحقيقة؛ غدت المرأة عند أبي سلمى، هي الوطن، والوطن يطل من عيني الحبيبة، كانت العلاقة المقدسة بين الشاعر ووطنه سبباً مباشراً في إضفاء الشعور بالمرارة الممزوجة بالرومانطيقية في شعره ليذهب بعيداً في فضاء الوجدان، إلى الكفاح الفلسطيني. تتحد علاقة الشاعر بالوطن، ووصل الأمر بشاعرنا في حبه لوطنه إلى حالة الوله والعشق الصوفي الذي تفنى فيه ويتوحد الشاعر بشعبه بالتوحد مع دوال الوطن؛ وينصهر بوطنه انصهاراً تاماً. تتسع دائرة الوطن عند أبي سلمى لتشمل الحبيبة ويصبح الوطن هو المعشوقة.

الخاتمة والاستنتاج

١. عبد الكريم الكرمي قد امتاز شعره بالروعة والكمال لأجل مرافقته الحياة وآثار الطبيعة، ومنها نشمّ رائحة الحب للحبيبة، لكن هذا الحب لم يكن حباً عبثاً ولاوعياً تجاه الحياة، بل نجدها متصلا بالأهداف الثوريّة. والمرأة دائماً رفيقة كفاحه ونضاله لأجل الوطن والوطنية.

٢. نجد الشاعر في كلامه ثنائية الوصف والتوصيف وهذه المقدرة قد أثّرت على كلامه الثوريّة والوطنية حيال الفترة النكبة وما بعدها، وهذه الظاهرة مرهونة بعبقرية الشاعر في دائرة الأحداث.

٣. نجد في شعر الشاعر نوع من التوصيفات والوصفات الحسية والعاطفية لأجل الأحداث الثورية، لكن شعور الشاعر ممزوج بالصداقة وحبّ الوطن؛ إذن يختلج الأحاسيس المرهفة الصادقة في ذهن السامع والقارىء. ويجعل المرأة معادلاً موضوعياً للوطن.

٤. يصبح ارتباطه بالوطن ارتباطاً عضوياً، وتبرز الذات المتكلمة بروزاً قوياً على مستوى الصياغة، فهو يناجي الأرض والوطن بمفردات الأنثى لتعميق الشعور بالانتماء إلى الوطن. وهذا يؤكد حالة الترابط الوجداني ما بين الشاعر والوطن، وما يقصده من ضرورة الحفاظ على الأرض والوطن.

٥. أخذت المرأة عند أبي سلمى، عمقاً إيحائياً مؤثراً بما تتضمن تجسيد العلاقة الثنائية بينها وبين الوطن، فتبدو العلاقة نوعاً من حالات العشق تتوحد خلالها الذات بالوطن، يصور الشاعر أحاسيسه ومشاعره الداخلية، بعد أن دخل إلى أعماق نفسه، ليصف لنا ما يدور فيها من خواطر ومشاعر وآمال وأحلام. وكلّ هذه المشاعر تنبئ عن وطنية حقيقية تملكت وجدانه، وتشربها حسه.

قائمة المصادر والمراجع

إسماعيل، عزّ الدين، **التفسير النفسي للأدب**، دار غريب للطباعة، القاهرة، لاتا.

البقاعي، شقيق، **الأنواع الأدبيّة مذاهب و مدارس (في الأدب المقارن)**، موسسة عزّ الدين للطباعة و النشر، القاهرة، ١٩٨٥م.

بيلتو، غادة أحمد، **أبوسلمى حياته وشعره**، المركز القومي للدراسات والتوثيق، دمشق، ١٩٨٧م.

الجيوسي، سلمى الخضراء، **الأدب الفلسطيني الحديث**، منشورات جامعة كولومبيا، نيويورک، ١٩٩٢م.

حسون، محمد إسماعيل، «**المرأة في شعر عبد العال القدرة دراسة تحليلية أسلوبية**»، مجلة جامعة الأقصى، (سلسلة العلوم الإنسانية)، المجلد العاشر، العدد الثاني، غزه، فلسطين، ٢٠٠٦م.

حمّود، ماجدة، **النقد الأدبي الفلسطيني في الشتات**، مؤسسة عيبال للدراسات والنشر، ١٩٩٢م.

درويش، أحمد، **في النقد التحليلي للقصيدة المعاصرة**، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٦م.

رحماندوست، مصطفى، و مختار مجاهد، «**القضية الفلسطينية في أدب عبدالكريم الكرمي**»، مجلة اللغة العربية وآدابها، السنة التاسعة، العدد الأول، ١٣٩٢.

روميّة، وهب، **شعرنا القديم والنقد الجديد**، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٦م.

الشايب، أحمد، **أصول النقد الأدبى**، نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٨م.

صالح، فخرى، **أبوسلمى التجربة الشعرية**، الطبع الثالث، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٩م.

صيام، بسام إسماعيل عبد القادر، **الشعر الفلسطيني بعد اتفاقية أوسلو، بين الخطاب الفكري والخطاب الأدبي**، (رسالة الماجستير)، الجامعة الإسلامية، غزه، ٢٠٠٦م

عبد الوهاب، سيّد صديق، **الجمال كما يراه الفلاسفة والأدباء**، دار الهدى موسسة الإهداء للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م.

عيد، رجاء، **فلسفة الإلتزام في النقد الأدبي بين النظريّة والتطبيق**، منشأة المعارف، الإسكندريّة، ١٩٨٨م.

عيد ؛ رجاء، **لغة الشعر قراءة في الشعر العربي الحديث**، منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٨٥م.

الغذّامي، محمّد عبد الله، **تأنيث القصيدة والقارىء المختلف**، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٥م

الغذّامي، محمد عبد لله، **المرأة واللغة**، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٦م.

الفار، مصطفى محمد، **أبوسلمى الأديب الإنسان**،(رسالة الماجستير)، جامعة القديس يوسف، ١٩٨٠م.

الغلبان، سليمان إبراهيم، «**تضحيات المرأة الفلسطينية في شعر انتفاضة الأقصى**»، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)، المجلد السابع عشر، العدد الأول، ٢٠٠٩م.

الكرمي، عبد الكريم، **ديوان أبي سلمى**، دار العودة، بيروت، ١٩٧٨م.

محمد، عبد البديع، **في النقد الأدبي**، جامعة الأزهر كليّة الدراسات الإسلاميّة والعربيّة، الإسكندريّة، ١٩٨٧م.

مونسي، حبيب، **فلسفة المكان في الشعر العربي قراءة موضوعاتية جماليّة**، منشورات إتحاد الكتّاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م

ناصر، محمد، **الشعر الجزائرى الحديث "اتجاهاته وخصائصه الفنية"**، - ١٩٢٥ – ١٩٧٥، دار الغريب، بيروت، ١٩٨٥م.

ناظم، حسن، **مفاهيم الشعريّة "دراسة مقارنة فى الأصول و المنهج و المفاهيم"**، المركز الثّقافي العربي، بيروت، ١٩٩٤م.

نويهض، عجاج، **رجال من فلسطين منشورات الفلسطين المحتلة**، بيروت، مطبعة الكرمل الحديثة، ١٩٨١م.

COPYRIGHTS

© 2022 by the authors. Licensee Islamic Azad University Jiroft Branch. This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution 4.0 International (CC BY 4.0) (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

الاستشهاد إلى: همتی شهریار، باقری بهنام، جاهد هادی، تجليات أدب المقاومة في الشعر المعاصر، دراسات الأدب المعاصر، السنة الرابعة عشرة، ، العدد الأربعة و الخمسون، صيف ١٤٤٣، الصفحات ٨٤-٦٧.